اللغة العربية في المؤسسات التعليمية
بين الإهمال والاستعمال

د/ حاج هني محمد
جامعة حسيبة بن بوعلي/ الشلف
الجزائر

تاريخ الإرسال: 2018/11/04	تاريخ القبول:2021/12/01	تاريخ النشر:2022/01/02

ملخص:

إنّ من أوليات الحفاظ على الهوية الحضارية، قدرة المرء على التعبير بلغته وقدرته على التعبير، وتمكنه من الإبداع العلميّ بها وفيها في كلّ نواحي العلوم المختلفة، كذلك فمن المعلوم أنّ اللغة إذا كانت تحيا بتركيبها، فإنّها أيضا تحيا بأهلها، وتحظى بالذيوع والانتشار عندما يكونوا قد حققوا إنجازات يعتدّ بها في التطوّر الحضاري، وتكون سيدّة اللغات حين يبلغ أهلها قمّة الرقي الحضاري في العالم.

مقدمة:

ليس بخفيّ على أحد أنّ التقدم في مناهج تعلم اللغة وتقنياتها يساهم- إلى جانب عوامل أخرى- في التمكين للغة في محيطها، وفي ضمان استمرارها وتطوّرها؛ كما أنّ التغيير والارتباك في مناهج التعليم يسهم – لا محالة- في تحجّر اللغة وتخلّفها.

وتعدّ مشكلة تعليم وتعلّم اللغة العربية في المؤسسات والمعاهد الجزائرية من القضايا الصعبة التي لازال السؤال بخصوصها مطروحا، ذلك أنّ أزمة العربية الفصحى في هذه المؤسسات بجميع مستوياتها عميقة، وهي لا تزداد مع مرور الوقت إلاّ عزوفا وهجرانا للعربية الفصحى.

فللمناهج والبرامج السائدة حاليّا انعكاسات واضحة على الواقع اللغوي، تتجلّى في كون الطالب الذي يقضي مدة طويلة في دراسة اللغة العربية يجد نفسه، رغم ذلك، غير قادر على معرفة بنيتها الأصليّة، ولذلك تعترضه- عند استخدامها- صعوبات جمّة، مما يجعله غيرَ قادر على استعمالها بشكل جيّد أثناء التواصل والتحاور.

وللإحاطة بدواعي الأزمة، لابدّ من الإجابة عن عدد من الأسئلة الشائكة التي تعتبر محاور لهذا الموضوع، ومن أهمها: كيف يتجلى واقع اللغة العربية في المؤسسات التعليمية؟ وما هي أسباب تدهور اللغة العربية في المجال التربوي؟ وكيف السبيل للنهوض بها.

1- معاناة اللغة العربية في البيئة التعليمية:

تعيش اللغة العربية اليوم ظروفا صعبة في مؤسساتنا التعليمية (**التعليم الأساسي والثانوي والعالي**) وفي مختلف المنابر الثقافية والإعلاميّة[1]، فالمتتبع المهتمّ يستطيع حين يستعرض حال العربية الفصحى– في الجزائر على غرار البلدان العربية- أن يجزم بأنّ هذه اللغة تشهد أزمة حادّة تتمثل في عزلة مفردات وتعبيرات عمّا يجري على ألسنة الناس في كلّ مكان، فالكثير مما يستخدمه المتكلمون الجزائريون من أدوات ويشربونه من مشروبات، ويأكلونه من مأكولات ويلبسونه من ملبوسات مستورد، فهو إذا موضوع بلفظه الأجنبيّ، ومن ثمّ يعرفه الناس بتلك الألفاظ الدخيلة على اللغة العربية، "وهذه محنة أخرى من المحن التي ابتليت بها العربية في عصرنا الحاضر، إضافة إلى الضعف العام الذي أصابها على ألسنة الكثيرين من المدرسين والطلاب وغيرهم، من قطاعات المجتمع عامّة"[2]، ممن أتيحت لهم فرصة استكمال دراستهم في أيّ بلد في الغرب، فلا يكادون يُمضون سنة أو أقلّ حتّى تجدهم يتقنون لغة ذلك البلد؛ قراءة وكتابة وحديثا، ويستطيعون بعدئذ أن يكتبوا أطروحاتهم "ماجستير أو دكتوراه" دون الوقوع في خطأ لغوي يذكر.

بينما يأتي طلاب آخرون إلى بلدنا ليتعلموا اللغة العربية الفصحى، فيقضون الأعوام، ثمّ يبقون بعدئذ غير قادرين على القراءة الصحيحة، أو الكتابة السليمة، أو الحديث الخالي من التلوّث اللغوي.

وعبّر أحد الشعراء المغاربة عن شكوى العربية الفصحى لغة القرآن مما وقع لها من أهلها، وما يدبر لها من كيد ومكر، داعيا الأجيال الحاضرة إلى التمسك بها والدفاع عنها، فقال:

إلى متى لُغة القرآن تُضْطَهَدُ ويَستبِيح حِمامها الأهلُ والولدُ

عَارٌ قَد استَعْجَمَتْ أقوالُنا وغَدت أفكارُنا بمَعانِي الخصْمِ تتَّحدُ

نَحْتَاجُ ما بَيْننَا للتُّرجُمَانِ كَمَا يحْتَاجُ إخوَانُنا في الضاد إنْ وُجِدوا

عِنْدَ الإدارةِ أو عنْد المدارِس أو عنْد المتاجر أضحى الضاد يَبْتَعِدُ[3]

إنّ اللغة العربية مفتاح الحريّة، والسيطرة اللغوية عليها علامة الاستعباد، وقد تحرّر الشعب الجزائريّ من الحكم الأجنبيّ ولكنّه بقي مقيّدا بأغلال الاستعمار الفكريّ، لهذا نلفي جوستاف لوبون يقول في هذا الصدد: "إذا استعبدت أمة ففي يدها مفتاح حبسها ما احتفظت بلغتها"[4]، واللغة ليست إلاّ المظهر الخارجي للفكر.

إنّ اللغة الأمّ التي يستخدمها المرء وهو طفل رضيع في حجر أمه هي التي تكوّن شخصيته واستعداده الأوّلي لكلّ فرد من أفراد المجتمع، ثمّ تأتي المدرسة فالجامعة- الكليّة- لتطبعها بطابع علميّ، فإذا هو واصل تعلمّه والحياة باللغة التي تربّى عليها، يكون متّحد الشخصيّة وإن تطوّرت أفكاره.

فتعلّم اللغة العربية هذه اللغة الجميلة وتقمص ما تلهمنا به من حياة سامية؛ لن نجده في الصورة التي تطبعنا بها أيّة لغة أجنبية أخرى، وإذا لم نفعل فمعنى ذلك أنّنا سنصبح كلّ شيء إلاّ أن نكون نحن، وبالتالي ندرك كيف يتسرّب الاستعمار الفكري عن طريق الاستعمار اللغوي، وللمتأمّل أن يتصوّر آثار اللغة في نقل التراث بين الأجيال السابقة والحاضرة، وإلهام التمسك به والدفاع عنه[5].

2- اللغة العربية بين الانتشار والانحسار:

تعتبر اللغة العربية من بين مقومات الأمة العربية الإسلامية، فهي النبراس الذي يضيء بنوره أفكار شعوبها وتأملات أفرادها، لذا فهي جسر التواصل بين بني البشر، وهذا ما يجعلها تخرج من الكيان الذهني إلى التجسيد العملي عن طريق الممارسة اللغوية، إنّ استعمال اللغة العربية لمدعاة للاهتمام، والنظر في إستراتيجيتها المتبّعة في التعليم والتعلّم وغيرهما من القطاعات الأخرى؛ إذ ليس كلّ من يستعمل هذه اللغة يعتبر متمكنا منها، بل أصبح ذلك الاستعمال عاملا تسوده مجموعة من الإشكالات المتعلقة بواقع اللغة العربية ورهاناتها المستقبلية في ظلّ تعدّد مجالات الاستعمال في ضوء الثورة الرقمية المساهمة في عملية التواصل العصرية.

إنّ مستقبل اللغة العربية مرهون بحسن استعمالها، فقيمتها تتجلّى من خلال حسن الاستعمال، وغيرة أهلها عليها تتوجب إدراك أماكن الصواب والخطأ في الممارسات اللغوية داخل المجتمع العربي؛ إذ اللغة الأم هي ترجمانها وخزانة أسرارها[6]، فوضعها اليوم في تدهور لا في تطوّر،

ولعلّ من الأسباب التي أدّت إلى إحلال هذه الأزمة المهددة للغة القرآن الكريم مردها ذلك التراجع الخطير في نسبة استعمال اللغة العربية مع ظهور الثورة الرقمية والعلمية المتقدمة، إذ لجأ مستعملوها إلى فرنسة اللغة العربية بحجة صعوبتها، ممّا أدّى إلى زوال الفصحى في محيطها الاجتماعي وإحلال العامية (الدارجة) محلّها، لذا ظهر الخلط بين اللغة العربية واللغات الأخرى نحو الفرنسية أو الانجليزية وحتّى الدارجة، وهذا ما جعل العلماء والباحثين يدقون ناقوس الخطر حول وضعية اللغة العربية، ويعملون ما في وسعهم للعناية بها وتطوير مصطلحاتها في مختلف مناحي الحياة، وهذا ما جعلها بحاجة إلى المزيد من الوقت لأجل انتشارها وتوسعها عبر العالم.

فما يزيد من أهمية اللغة العربية أنّها من أبرز وأحسن وسائل التواصل والتفاهم بين الناس، لأنّها تحقق الوظائف المتعددة للمدرسة، إذ هي ليست مادة دراسة فحسب بل وسيلة لفهم المواد الدراسية الأخرى، إلى جانب هذا يعتمد عليها كل نشاط يقوم به الإنسان المتعلم، سواء أكان عن طريق الاستماع، أو التخاطب، أو فعل القراءة، أو الكتابة، إضافة لدورها الفعال والمميّز في تصريف شؤون المجتمع اللغوي، هي الوسيلة الفعالة لمواجهة كثير من المواقف الاجتماعية التي تستدعي استعمال مهارات اللغة، وتستخدم في التفكير والتعبير، نظرا لذلك صار من الضروري لكلّ أمّة ناشئة تسعى لتبوء منزلة سامية بين الأمم والشعوب الراقية أن تعتني جيّدا بلغتها، وأن تجتهد على تعليمها تعليما سليما يرمي إلى الإفادة من وظائفها المتعددة في حياة الفرد والمجتمع، ولن يتأتّى له ذلك المسعى في الارتقاء بتعليم اللغة العربية سوى بالاهتمام البالغ بتنمية لغة التلميذ تنمية صحيحة، ومتابعة ذلك عن طريق تقويم أدائه اللغوي تقويما فعالا وتجديد طرق وأساليب التدريس، والتركيز على التلميذ المتعلم وجعله محورا لعمليتي التعليم والتعلم في ظلا إصلاح المنظومة التربوية، حتّى يغدو هذا المتعلم المبتدئ الصغير في المستقبل القريب خير معلم ومثقف وخطيب وصحافي ومفكر وكاتب...إلخ.

وعطفا على ما سبق، تعتبر اللغة العربية سلاحا ذو حدين ذلك أنّها قد تكون "سلاح البقاء أو الإفناء في آن، فهي سلاح الأمة التي تريد لشخصيتها الثبات بعناصرها إن لم تهملها وتقصها، وهي سلاح العدوّ الذي يحاول النفوذ إلى المجتمع الآخر عبرها بعد أن يتمكن من توظيفها لإيصال أهدافه وتحقيق أغراضه"[7]، وعليه فلغتنا العربية هي بأمسّ الحاجة إلى قواعد وأساليب مضبوطة، وهي أيضا بحاجة إلى تطوير الوسائل التقنية والتكنولوجية التي تعينها على الذيوع

والانتشار، كما هي بحاجة لإعادة النظر في وضعها في المحيط الاجتماعي، حتّى تكون حاضرة في مختلف قطاعاته، سواء انفردت بهذا الحضور أم لم تنفرد، ولا شكّ أنّ مزاحمة لغات أجنبية لها في تلك القطاعات، على غرار التعليم يجعلها في موقف ضعف لا قوّة تجاه تلك اللغات الأجنبية التي ينظر إليها على أساس أنّها لغات التقدّم والرقي العلمي والثقافي، ممّا يؤدي إلى نتائج سلبية بالنسبة لمتعلّم اللغة العربية ومعلّمها، وقد تكون هذه النتائج السلبية، سواء في المستويات: التعبيرية، أو الإدراكية، أو النفسية، ولا شكّ أنّ المتعلّم باللغة العربية لا يحظى بالمكانة المجتمعية التي يحظى بها ثنائي اللغة أو متعددها، ولئن كان التخلي عن اللغات الأجنبية في التعليم لا يبدو واقعيّا؛ لكن لا بدّ من تمكين اللغة العربية وتحسين مكانتها حتّى تصبح حاضرة في كلّ القطاعات بما فيها قطاع التربية والتعليم في محيطها الطبيعي[8]

تشكل اللغة الأم الأداة الأهمّ في تداول المعلومات، وتوليد المعارف فهي التي تستخدم في التربية والتعليم- كما أسلفنا- وهذا ما مرت به اللغة العربية؛ لكن نظرا للتسارع الذي نشهده في العالم بسبب العولمة وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات والتحوّل نحو مجتمع المعرفة، أضحى من اللازم تنشيط وتفعيل اللغة العربية، وتسريع وتيرة البحث والتطوير في تراكيبها لمواكبة المتغيرات والحاجة إلى ابتكار المصطلحات وتوحيدها إضافة إلى حوسبة اللغة العربية على مستوى المدوّنة الرقمية[9].

ومما هو قمين بالذكر، أن تلك الإجراءات التي اتخذت للحفاظ على اللغة العربية واسترجاع مكانتها بين لغات العالم بما فيها لغة المستدمر لم تكن ناجعة، فمنذ إعلان الدستور الوطني الصادر سنة 1976 أنّ العربية هي اللغة الوطنية والرسمية للبلاد، ثمّ محاولة تعريب بعض مؤسسات الدولة على غرار: القضاء والإدارة والتعليم، مع إنشاء مؤسسات وجمعيات تعنى بحماية اللغة العربية وتطويرها وترقيتها، كأعمال المجلس الأعلى للغة العربية، والمجمع الجزائري للغة العربية والجمعية الجزائرية للدفاع عن اللغة العربية إلاّ أنها مازالت تعاني التخلف والإهمال، لذا كان من الواجب تنقيتها من العناصر الداخلية غير الفاعلة، وتفصيحها في مختلف مجالات الاستعمال الرسمي والإعلامي والتعليمي، وكذا توسيع وتحديث مناهج وطرائق ووسائل التعليم بها ولها، وتبسيط قواعدها النحوية، وإغناء رصيدها بالمصطلحات الحضارية التي تنمو مع كلّ جديد.

3- وضعية اللغة العربية في المحيط:

إن اللغة التي يستخدمها الفرد في حياته اليومية لقضاء حاجاته ومطالبه ليست هي اللغة الثقافية التي يمكنها أن ترقى بعقل الإنسان فكريا أو ثقافيا، فهي لغة حديث واستماع تجري بها حياة الناس من غير دقة أو إتقان، وليست لغة قراءة وكتابة تمكن الفرد من اكتساب المعرفة والإلمام بتراث أمته الثقافي، والارتباط بعالم أمته المعاصر؛ ومن ثم كان لا بد من أن تكون لغة التعليم هي لغة الثقافة والفكر[10].

واللغة العربية مفتاح الحريّة، وعملية السيطرة اللغوية عليها هي بصدق علامة الاستعباد، لقد تحرّر الشعب الجزائريّ من الحكم الأجنبيّ ولكنّه بقي مقيّدا بأغلال الاستعمار الفكريّ، لهذا نلفي جوستاف لوبون يقول في هذا الصدد: "إذا استعبدت أمة ففي يدها مفتاح حبسها ما احتفظت بلغتها"[11]، واللغة ليست إلاّ المظهر الخارجي للفكر.

فاللغة الأمّ التي يستخدمها المرء وهو طفل رضيع في حجر أمه هي التي تكوّن شخصيته واستعداده الأوّلي لكلّ فرد من أفراد المجتمع، ثمّ تأتي المدرسة فالجامعة- الكليّة- لتطبعها بطابع علميّ، فإذا هو واصل تعلمّه والحياة باللغة التي تربّى عليها، يكون متّحد الشخصيّة وإن تطوّرت أفكاره.

4- أسباب اضطراب اللغة العربية:

لقد وسم نمط التعليم القديم بعامة وتعليم اللغة العربية بخاصة في المدارس الجزائرية بالثبات والاستقرار والسكون، فالمتصفح لمناهج اللغة العربية القديم الموجّه للأستاذ يرى فيه جملة من النقائص غطتها بعض الحسنات التي تسعى لتنمية المهارات والقدرات، التي من شأنها أن تحقق من خلال جملة من الأهداف، وهي نتائج متوقعة من المتعلم بعد مدّة تكوينه، وكأنّ بالمعلّم يقوم باستحضار التراث الأدبي ونقله وحفظه؛ أي نقله إلى المتعلمين وفق التسلسل المنطقي من البسيط إلى المركّب، ومن الخاص إلى العام، ومن المحسوس إلى المجرّد.

ولهذا فقد تميّز هذا النظام التعليمي بطريقة التلقين والحثّ على الحفظ والاستظهار، و"كأنّ لهذا النظام التعليمي منهج يزرع ثقافة الطاعة والسكون، وهزيمة الذات، وإحباط فطرة الإنسان في حبّ الاستطلاع والتساؤل"[12].

فعند قراءة البنية التعليميّة للغة العربية كما ركبت في المدارج الأولى للتعليم النظامي، يبدأ الطفل يتردد على المدرسة في حدود السنة السادسة، فإلى أيّ حدّ تستجيب هذه البنية لحاجات الطفل اللغوية في هذه السنّ المبكرة؟ وما هي العلاقة بين مخزون الطفل اللغوي الذي اكتسبه في البيت، والرصيد الجديد الذي يفترض فيه أن يغني هذا المخزون باستثماره وتطويره؟ وبالتالي كيف تمّ الربط بين لغة الأمّ الحيّة التي يتواصل بها الطفل في البيت والمجتمع ولغة المدرسة المقننة؟ وأيّ لغة هي هذه اللغة المدرسية؟ هل هناك معالم محدّدة لحصرها، لاسيما وهي ليست لغة واحدة وإنّما هي لغات؟

ولعلّ مشكل التداخل اللغوي، فد يفرض هيمنته في هذا المقام، ذلك أنّ المتعلمين يصادفون أثناء التعلّم صعوبات في التحكم اللغوي؛ نتيجة الاحتكاك أو النقل اللغويين الذي يأتي من اللغة الأصل(الأمازيغية) ويلحق اللغة المكتسبة(العربية)، ممّا يمكن أن يعرقلهم على المشاركة في العملية التعليمية.

أضف إلى ذلك غياب الكفاءة في المؤسسات التربوية والتعليميّة حيث تعيش اللغة العربية اليوم وضعية اغتراب بين أهليها وذويها، فما المنتظر من لغة لا يحترمها أصحابها، كيف ذلك والمسألة لم تعد في إطارها الفكري أو الاجتماعية بل صارت ذات أبعاد سياسية أيضا، واللغة العربية رغم قوتها وإمكاناتها الذاتية ضحية استعمال ضيق[13]، ونحن نتساءل عن سبب عزوف مستعملي اللغة العربية عن الاستعمال السليم لها، في التعليم والصحافة والإذاعة والندوات والمؤتمرات الدولية، والمنابر العلمية والثقافية والسياسية، وهنا تظهر تلك الصلة الوثيقة بين الفرد ولغته، بل بين المجتمع واللغة في إطار التجلي والممارسة؛ لأنّ الاستعمال أو ما يسمى بالممارسة هي الكفيلة بالإعلاء أو التقويض من قيمة هذه اللغة، لذا نلفي ابن خلدون يذكر في هذا المعنى:" اعلم أنّ اللغات كلها ملكات شبيهة بالصناعة، إذ هي ملكات في اللسان للعبارة عن المعاني وجودتها وقصورها بحسب تمام الملكة أو نقصانها"[14].

ومن جملة الأسباب التي جعلت ولا تزال اللغة العربية في إهمال وعزوف عنها، ما يمكن أن نبيّنه من خلال قطاع التعليم نموذجا وما يشهده من تدهور وتخلف في الاستعمال اللغوي، ما تمّ حصره في النقاط التالي[15]:

- تطوّر مناهج التعليم وعدم إسهامها بطريقة أو بأخرى في تكميم أفواه المتعلمين، وخلقها سبلا للهروب والتنصل من مسؤولية تحفيز وتشجيع المتعلمين على التعبير الشفهي الحر، وإلاّ كيف نفسر تخوّف المعلم من حصة التعبير الكتابي الشفهي؟ هل الامر راجعا لكون المعلم ليس قادرا على أن يعبّر عن أفكاره حول موضوع من البرامج تعبيرا شفهيّا سليما وصحيحا؟ أم باعتباره لا يملك الإرادة لإنجاز ذلك النشاط؟

ولنجاح نشاط التعبير الشفهي لابد من تقيد المعلّم بالتوصيات التالية[16]:

- اتخاذ موقف الموجّه والمرشد في هذا النشاط، فلا يتدخل المعلّم إلاّ لإثارة المتعلمين واستفزازهم للتعبير حتّى يكون المتعلم بذلك هو الفاعل.

- ترك المتعلمين يعبرون بكل راحة وحرية ودون مقاطعة.

- الحرص على أن لا يتحوّل التعبير الشفهي إلى حصة محادثة (سؤال وجواب).

- العمل على تحقيق الغرض الأساسي من حصة التعبير الشفهي، وهو التواصل وتمرين المتعلمين على الكلام بطلاقة وسهولة لاختبار معلوماتهم العامة.

ويعد هاجس التعبير الكتابي أكبر مقارنة بالتعبير الشفهي، فصعوبات التعبير الكتابي تتجلّى في استعمال العامية على اللغة الفصحى، وهذا راجع في أحايين كثيرة للعوامل الآتية:[17]

- الإحساس بالخجل .

- الانطواء على النفس.

- الشعور بالخوف.

ويضاف لها عامل آخر هو كون الطالب ليس بحاجة حتّى للقراءة التي تنمي الرصيد اللغوي؛ فطرائق التقييم المعتمدة للمقررات الدراسية في الكليات العلمية، بما فيها مقرر اللغة العربية، يجري تقييم الطلاب في امتحاناتها بطريقة الأسئلة ذات الخيارات المتعددة المفروضة على الطالب، ولهذه الطريقة مساوئها الجمة على الصعيدين اللغوي والعلمي، فنجد المتعلم مع هذه الطريقة في التقييم:

- لل يكلف نفسه عناء قراءة نصوص كاملة، وسيكتفي في كثير من الأحيان بالاطلاع على تلك الأسئلة.

- ستضمحل مفرداتها كمّا ونوعا.

- سيفتقد قدرته على التعبير، فكيف يكتب بعد ذلك؟

- سيتعلم اختصار الأشياء والمعاني بشكل يمسخ العلم والمعرفة، ويفقده القدرة على النقاش والتواصل[18].

- تجاهل مستوى المتعلمين من قبل المعلمين والأساتذة وواضعي البرامج التعليمية المختلفة؛ لأنّ الضعف العام الذي يعانيه تلامذتنا وطلبتنا في فهم اللغة العربية واشتقاقاتها وكذا إعرابها ونحوها وصرفها...نراه وللأسف الشديد يستفحل يوما بعد الآخر، رغم أنّ العربية لغة مطواعة لمن يتقنها، وكم عدد من يتقنها بيننا وبين طلاب جامعاتنا وأساتذتهم وغيره[19]؟

ولكن للأسف الشديد قد ترسخت وتجذرت هذه الذهنية والوضعية في التعليم بمختلف أطواره، فلم يسلم حتّى التعليم العالي منها، وخير دليل على ذلك أنّ المحاضِر قد لا يتيح الفرصة أمام طلبته للتعبير الشفهي إلاّ مرّة واحدة وفي دقائق معدودات بخاصة في فترة الامتحانات الشفهية، والطامة الكبرى عندما نستمع للأستاذ الجامعي وهو يحاضر أمام طلبته بالعامية، وفي ذلك إخلال باللغة العربية الفصحى.

هذا ناهيك عن الدوافع والمسببات الاجتماعية الأخرى، أين تعيش اللغة العربية الفصحى حبيسة بعض الدوائر الصغرى من الحياة العلمية للمجتمع الجزائري، فلا تستطيع بذلك أن تتنفس في كلّ ميدان، وعلى كلّ قلم ولسان، وذلك لعدّة أسباب، وهي[20]:

- يختار المتكلم اللغة الأجنبيّة ليستعرض بها عضلاته اللغوية والفكرية أمامه الآخرين، وهذه هي الطامة الكبرى.

- ذيوع العاميّة بلهجاتها المحلية المختلفة، التي باتت تغزوها كلمات فصيحة، وجمل عربية، وعبارات قريبة كلّ القرب من الفصحى، وهذه المعضلة الاجتماعية والثقافية علاجها محو الأميّة ونشر التعليم في بلادنا.

- ضعف اللغة في صفوف المثقفين[21].

- فشل السياسة التعليمية في الجزائر فالحديث عن التعليمية وأسباب ترديها وفشلها يقونا إلى الحديث عن الأقطاب الأساسية لها، وهي: المتعلّم، والمعلّم، والمنهاج.

5- سبل العلاج:

كان من الضروري لكلّ أمّة ناشئة تريد أن تتبوأ منزلة سامية بين الأمم الراقية من وظائفها المتعددة في حياة الفرد والمجتمع، ولا يكون هذا الارتقاء في تعليم اللغة العربية إلاّ بالاهتمام البالغ بتنمية لغة المتعلم تنمية صحيحة، ومتابعة ذلك عن طريق تقويم أدائه اللغوي تقويما فعالا ووضع الطرق الحديثة لتعليمها، فمن القضايا الكبرى في العصر الحالي قضية إصلاح التعليم، والرقي بمستوى المتعلّم؛ حيث دعت وزارة التربية والتعليم إلى تجديد طرق وأساليب التدريس بما فيها اللغة العربية، كذا التركيز على نشاط المتعلم وجعله محورا لعمليتي التعليم والتعلّم، كما يؤكد المبدأ التربوي على فكرة علّمه كيف يتعلّم على ألاّ يكون المتعلّم مستقبلا للمعلومات فقط[22].

وعليه وجب تطبيق الإجراءات التالية[23]:

- تتبع الجديد الصالح من طرائق التدريس ونظريات التعلّم ثمّ تكييفها.

- إدخال مبدأ التعلم الذاتي في ميدان تعليم اللغات، أو ما يسمّى المقاربة بالكفاءات؛ لكونه أصبح من المسلمات في إطار التربية الحديثة بعامة وتعليم اللغات بخاصة، وذلك استجابة لطبيعة عصر التفجر المعرفي والانتشار الثقافي.

- حسن اختيار المدرسين، ووجوب إقامة تربصات قبل الخوض في مهنة التعليم، فيجب إعداد الأساتذة إعدادا كاملا قبل التوظيف وأثناءه حتّى يكونوا قادرين أكاديميّا من معالجة اللغة التي يدرسونها– مثلا- ومؤهلين تربويّا على مستوى النظرية والتطبيق الميداني.

- العمل على رفع المكانة الاجتماعية لمدرسي اللغة العربية- كما هو الشأن في بعض الدول العربية وحتى الغربية- ورفع معامل هذه المادة.

- إلزام المدرسين التحدث بلغة سليمة أثناء الدرس، أو في حوارهم مع المتعلمين، وبالتالي إكسابهم مهارات لسانية وكتابية.

- العمل على تمكين اللغة العربية واستيعابها من قبل المتعلمين في جميع مراحل التدريس.

- توجيه المتعلمين إلى الاستماع لمن يحسن الحديث بلغة فصيحة، والمران المستمر على الممارسة اللغوية.

-مراعاة منهج التدرج الواضح في تحقيق الكفاية اللغوية؛ وذلك بممارسة الحوار والنقاش، وانتقاء المواقف التي تثير وتدفع المتعلم للحوار، ولاكتساب أفانين التعبير.

- تدريب المتعلم على توظيف مختلف مصادر التعلم لكسب المهارات الضرورية لاستمرار التعلم

- ضرورة إعادة النظر في منهجية تعليم اللغة في المراحل الأولى خاصة لأنّ تعليمها يفتقر إلى منهجية وظيفية تركز على جودة الأداء وسلامة اللغة؛ ويدرب المتعلم المبتدئ على القراءة الصحيحة الواعية التي تمكنه من اكتساب ملكة التعبير وبناء النصوص.

إنّ منهج تعليم اللغة العربية للمتمدرسين الصغار عند التحاقهم بالصفوف الأولى من التعليم الأساسي والتحضيري يجب أن يقوم على ركائز مستمدة من خصائص اللغة العربية منها[24]:

- حسن اختيار المدرسين الذين تتوفر فيهم حب اللغة العربية وحبّ مهنة التدريس، وحب الطلاب والقدرة على إنشاء علاقات طيبة تدفعهم إلى حبّ العربية.

- تتبع الجديد الصالح من طرائق التدريس لضمان تشويق التلاميذ.

- التزام جميع المدرسين على اختلاف تخصصاتهم بالتحدث بلغة سليمة لتعويض التلميذ عن المجتمع الذي كان من المفترض أن يأخذ لغته منه.

- تخصيص درجات- ولو رمزية- لسلامة اللغة في الامتحانات.

يجب أن تكون جميع الكتب الدراسية المقررة في برامج المنظومة الإصلاحية التربوية مطبوعة كلماتها بالتشكيل الكامل لعلاماتها؛ لأنّ رسم الحروف في العربية هو من يتحكّم في عمليات الإملاء، والنحو والصرف، بحيث تظهر جميع علامات إعراب الكلمات والعبارات والجمل حتى تنطق وتكتب حسب إعرابها، فيتعوّد اللسان عليها المراحل البيداغوجية في التعليم فيسهل تعليمها من المدرس وتعلمها من الطالب فيما بعد.

- ينبغي مراعاة اللغة العربية بوصفها لغة موسيقية تعتمد على الفصاحة والجزالة والرصانة في الأسلوب، لذا ينبغي أن تتلاءم النصوص- البلاغية والشعرية - المختارة سمعيّا مع تلك الخاصيات المميزة لها.

إن اللغة التي يستخدمها الفرد في حياته اليومية لقضاء حاجاته ومطالبه ليست هي اللغة الثقافية التي يمكنها أن ترقى بعقل الإنسان فكريا أو ثقافيا، فهي لغة حديث واستماع تجري بها حياة الناس من غير دقة أو إتقان، وليست لغة قراءة وكتابة تمكن الفرد من اكتساب المعرفة والإلمام بتراث أمته الثقافي، والارتباط بعالم أمته المعاصر؛ ومن ثم كان لا بد من أن تكون لغة التعليم هي لغة الثقافة والفكر[25].

خاتمة:

إنّ إعادة الاعتبار للغة العربية أوّلا، وتوسيع التعليم بهذه اللغة ثانيا يحتاج إلى جرأة فكرية، وعلينا ألاّ نتجرد منهما خوفا من أن تنكشف عوراتنا؛ لأنّ اللغة ذاكرة الأمة ووعاؤها والعنصر الهام في هويتها الثقافية والحضارية، وعليه وجب للغتنا أن تتطوّر مقارنة باللغات الأخرى، وأن وتحضر عبر جهود أبنائها؛ ذلك لأنّ إهمالها وتبني لغات أجنبية أخرى محلّها لا شكّ أنّه سيهدد

وجود العرب وهويتهم، فكم من لغة لا تستحق الحياة (العبرية مثلا) أحياها بنوها، وكم من لغة راسخة البنيان أضاعها وارثوها النائمون.

وفي الختام، يمكن القول أنّ النهوض باللغة العربية في المدرسة الجزائرية، بكلّ أطوارها ومستوياتها، يتطلّب وقفة مصيريّة كبرى؛ تتضافر فيها الجهود من طرف جميع الفاعلين في الحقل التربوي، مختصين وأساتذة ومعلمين، لمناقشة وبحث السبل الكفيلة بترقية اللغة العربية، وجعلها لغة العلم والأدب، كما يتوجّب عليهم إيجاد سبل ناجعة تحقق النهوض بهذه اللغة مستقبلا، من أجل تزويد الناشئة بأداة التواصل ومفتاح الحضارة، قبل أن تصبح اللغة العربية غريبة في بلادها، منبوذة بين أهله.

الهوامش:

1- ينظر:اللسانيات وتعليم اللغة العربية وتعلمها، عبد العزيز العماري، منشورات عكاظ، الرباط، د ط، 2002 م، ص:45.

2- ينظر: اللغة العربية والصحوة العلميّة الحديثة، كارم السيّد غنيم، مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع والتصدير، مصر، 1990م، ص:31.

3- ديوان علال الفاسي، مطبعة الفاسي، الرباط، المغرب، 1971م، ص:47.

4- ينظر: من أجل تفاعل لغوي، علال الفاسي، مطبعة الرباط، المغرب، ط:1، 2005م، ص:25.

5- ينظر:العرب والعربية في عصر الثورة الحاسوبية، فداء ياسر الجندي، دار الفكر، دمشق، سورية، ط:1، 2003م، ص:132.

6 - ينظر: عيون البصائر، البشير الإبراهيمي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص:310.

7- ينظر: اللغة العربية بين الوظيفة والتوظيف، لخضر لعسال، مجلة المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، أبريل 2011، ص: 275.

8- ينظر: المقارنة والتخطيط في البحث اللساني العربي، عبد القادر الفاسي الفهري، دار توبقال للنشر، المغرب، ط:1، 1990م، ص:161-162.

9- ينظر: الفجوة الرقمية في المجتمع العربي وأثرها على اللغة العربية، فرح منصور، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المؤتمر السنوي الخامس: اللغة العربية في عصر المعلوماتية، 22-11-2006م، ص:14.

10 - ينظر: التواصل اللغوي والتعليم، فتحي علي يونس، يناير 2009م، ص:23.

11 - ينظر: تعليمية الفلسفة، مذكور مليكة، مجلة القلم، جامعة السانية، وهران، العدد:25، 2012م، ص:510.

12 - الفلسفة والإنسان العربي في القرن الحادي والعشرين، قاسم عبد عوض، بغداد، ط:1، 2002م، ص:728.

13- ينظر: اللسانيات العربية في الثقافة العربية، حفريات النشأة والتكوين، مصطفى غلفان، دار توبقال للنشر والتوزيع، الرباط، المغرب، ط:1، 2002م، ص:260.

14- المقدمة، عبد الرحمن ابن خلدون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1999م، ج:1، ص:554.

15- ينظر: اللسانيات العربية في الثقافة العربية، حفريات النشأة والتكوين، مصطفى غلفان، ص:262.

16- ينظر: المرجع نفسه، ص:260.

17- ينظر: تدريس فنون اللغة العربية، النظرية والتطبيق، علي أحمد مذكور، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط:1،. 1430هـ- 2009م، ص:325.

18- ينظر: مشكلات الكتابة العلمية باللغة العربية، نظرة أولية، زيد العساف ويوسف بركات، مقال ضمن مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، أعمال المؤتمر السنوي الرابح الكتابة العلمية باللغة العربية، دمشق، سورية، 1431هـ،- 2010م، ص:9.

19- ينظر: المرجع نفسه، ص:6.

20 - دروس في اللسانيات التطبيقية، صالح بلعيد، دار هومه، الجزائر، د.ط، 1997ن، ص:125.

21 - في التلقي اللغوي والمعجمي، عباس الصوري، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط:1، 2004م، ص:268.

22 - دروس في اللسانيات التطبيقية، صالح بلعيد، ص:125.

23 - ينظر: المهارات اللغوية وعروبة اللسان، فخر الدين قباوة، دار الفكر المعاصر، دمشق، سورية، ط:1، 1999م، ص:111-113.

24 - ينظر: المرجع السابق، ص:112.

25 - ينظر: التواصل اللغوي والتعليم، فتحي علي يونس، يناير 2009م، ص:23.

قائمة المصادر والمراجع:

1. أعمال المؤتمر السنوي الرابح الكتابة العلمية باللغة العربية، دمشق، سورية، 1431هـ،- 2010م.

2. تدريس فنون اللغة العربية، النظرية والتطبيق، علي أحمد مذكور، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط:1،. 1430هـ- 2009م.
3. التواصل اللغوي والتعليم، فتحي علي يونس، يناير 2009م.
4. دروس في اللسانيات التطبيقية، صالح بلعيد، دار هومه، الجزائر، د.ط، 1997.
5. ديوان علال الفاسي، مطبعة الفاسي، الرباط، المغرب، 1971م.
6. العرب والعربية في عصر الثورة الحاسوبية، فداء ياسر الجندي، دار الفكر، دمشق، سورية، ط:1، 2003م.
7. عيون البصائر، البشير الإبراهيمي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.
8. الفلسفة والإنسان العربي في القرن الحادي والعشرين، قاسم عبد عوض، بغداد، ط:1، 2002م.
9. في التلقي اللغوي والمعجمي، عباس الصوري، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط:1، 2004م.
10. اللسانيات العربية في الثقافة العربية، حفريات النشأة والتكوين، مصطفى غلفان، دار توبقال للنشر والتوزيع، الرباط، المغرب، ط:1، 2002م.
11. اللسانيات وتعليم اللغة العربية وتعلمها، عبد العزيز العماري، منشورات عكاظ، الرباط، د ط، 2002 م.
12. اللغة العربية والصحوة العلميّة الحديثة، كارم السيّد غنيم، مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع والتصدير، مصر، 1990م.
13. مجلة القلم، جامعة السانية، وهران، العدد:25، 2012م، ص:510.
14. مجلة المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، أبريل 2011، ص: 275.
15. مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المؤتمر السنوي الخامس: اللغة العربية في عصر المعلوماتية، 22-11-2006م.
16. المقارنة والتخطيط في البحث اللساني العربي، عبد القادر الفاسي الفهري، دار توبقال للنشر، المغرب، ط:1، 1990م.
17. المقدمة، عبد الرحمن ابن خلدون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1999م.
18. من أجل تفاعل لغوي، علال الفاسي، مطبعة الرباط، المغرب، ط:1، 2005م.
19. المهارات اللغوية وعروبة اللسان، فخر الدين قباوة، دار الفكر المعاصر، دمشق، سورية، ط:1، 1999م.